

# البطل والخلاص

بقلم محمد شكري

ان الحدث يحتاج الى استمرارية ، ودائمة ، ومعاناة . أحيانا يدافع ما سيحدث ، واخرى لتجسيم المناسبة ، لان الحنين يولد الصبر . في « الشيخ والبحر » نجد الحظ والمجهود والخوف مما سيحدث . وفي « تلوح كليمانجارو » هناك الموت الذي يرفرف قريبا من « هاري » كالطيور الكاسرة نفسها التي تزججه بتناكحها على مرأى منه . لكن الفوز في البحر اصعب من الانقاذ في بيت الله ( ٣ ) ان املهما ( هاري وحسناء ) شبه يقيني . ان الطائرة في الطريق اليهما . اما شيخ البحر فهو في دوامة الحظ .

ان وجود جثة حقيقية ، محمولة ، ليس كالبحت عن قتل ، او من لم يقتل بعد ، تماما كالفارق بين ما افهمه وما أحكم عليه . انني اذ افهم قيمة الشيء بعني ابي أجسمه ، واشعر بوزنه ، واستطيع تشيئه . لكن حكمي عليه فقط لا يكفي . تبقى هناك هاوية توحسي بالعوام والسفوط .

حتى النيكرو وفيلون (٤) لا يتخلصون من جثتهم بسرعة . ان مجرد رؤيتها ، في الاوضاع المشتهية قبالا ، بعد الاشباع النسوي الاثني ، يوحى بنشوة اخرى ، ولو بدون استئذان جديد .

أحيانا ، تكفي رصاصة واحدة . لكن مرسل اطلق « اربع طلقات اخرى على الجثة الهامدة التي غابت فيها الرصاصات دون ان يبدو عليها شيء » . وبعد المرة الاولى ، الخفيفة ، فوق جمجمة آلونا ايفانوفنا ، أعاد راسكو لينكوف الضربة الجزارية مرتين آخرين بكل قواه . « اربع مرات اخرى » و « مرتين » بكل قوة . هذا هو السؤال المطروح . وهو اذ اختار الفأس فانما اختار ان يضرب بقوة ، بكل ثقل جسده ، وثقل الالة . لقد كان خائر القوة قبيل الاقدام على التجربة . كل شيء كان مغريا على تنفيذ الخطة : حديث الطالب مع ضابط في الحانة حديث ليزافيتا ( اخت آلونا ) مع التاجرة ، حلمه بعادات دابة ميكولكا الهزيلة المسكينة التي ضربوها حتى الموت ، اخته دونيا التي نجت من فسق السيد سفيديريكالوف ، ولكنها ستبيع نفسها للسيد (لوجين) « الذي يرتاح لمصاهرة نساء فقيرات » فقره ، مضايقة صاحبة المنزل لعدم ايفانه بدويونه ، وضعه كطالب قديم فقط ، الفتاة الثملة المسكينة التي لم ينجح في انقاذها من برجوازي يريد ان تصحو من سكرها بين احضانها - لان سقوطها ضروري . لقد كان ممتلئا بالعنف حتى الجنون . بالامس كان يشمئز من قتل اي « كائن حي » لكنه اليوم لن يشمئز من قتل حياة بشرية .

ليس هو الخوف اذن من قيام العربي القوي ، العنيد ، ولا هي مقاومة العجوز الفانية . ان المسيح قد رفع في اعتقاد المسلمين ، وقتلوه وصلبوه عند المسيحيين . وخوف العودة من القبر لم يعد له وجود الا في التاريخ (٥) . ان هذا السر القامض : لماذا اكثر من

MASAI , NAGAJI

٣ - اشارة الى « مازي نجاجي

في اللغة الافريقية السواحلية كما وردت في ترجمة الكتاب الى العربية . وتعني : « قمة الجبل الغربية » .

٤ - عشاق مضاجعة الموتى .

٥ - يقال بان المغاربة القدماء كانوا يسلمون موتاهم حتى العظم ويدفنون الهياكل وحدها . وآمنوا بالقرآن : « قل من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » فكفوا عن هذه العادة بعد الفتح الاسلامي .

هل يفرض في الكاتب ان ينقذ ابطاله كما يحدث لروكاملوب وجيمس بوند ؟

في الماضي ، كان يتم انقاذ البطل بكل المعجزات الغيبية والواقعية ان ( فانتين ) تحضر . ولديها سر وصاية عن ابنتها كوزيت تريد ان تطمئن عليها قبل موتها . وفي « بانمة الخبز » (١) لا بد ان يكون جاك جيروود ( بول هرمان فيما بعد ) هو القدر القاسي على حنة فورتيه التي تفني شبابها في السجن ( اكثر من عشرين عاما ) . وحين يعاد لها اعتبارها تكون هي والمجرم على موعد لتوديع هذا العالم . بدون هذه الاحداث ، المحبوكة بشكل طيب ، ساذج ، وبتيكنيك بوليسي باعت على الملل ، لم يكن ممكنا للقصة الانسانية المهزومة ان تستمر .

على هذا النمط الاستطافي في الرواية كتب أيضا نانائيل هوثورن « الحرف القرمزي » ليجسم لنا اخلاق انكلترا الجديدة ، حيث كان هؤلاء المهاجرون المترمون الى حد الجنون ، يستعوضون بالرزانه البشعة والشعوذات ، وتقديس الاشباح ، عن الفكر المشرق ، والحرية الانسانية . وكتب المنفلوطي قصصه الموضوعة والمتنسة بأسلوب يفرقنا في ثقافته اللغوية ، واحساساته الرومانسية . لكن اليوم ، لم يعد من المهم ان يعطينا الكاتب « بداية جميلة او نهاية قيحة » كما قال ادريس الخوري . اننا نكتب عن الفجح والجمال لنجد الحقيقة كما هي لا كما يريدونها الجماليون . البداية ربما تكون جميلة ، لكن النهاية فد لا يمكن انقاذها . ان الانسان لم يجيء الى هذا العالم لينفنى بالجمال ، وبكسب المحبة الا وسط الاغبياء الذين يرتجفون امام الحقيقة المرعبة .

في قصة « الدفن » لمحمد زفراف كان من الممكن للزوج ان يرمي جثة زوجته في اول حفرة ، ويتخلص من « صعود الجبل » وعرق جهنمي ينقطر من مسام جلده الضيقة المهرثة . « ماتت زوجته الطيبة ، ودفنتها بمشقة سواء في أرض صلدة قرب منزله او في مقبرة القرية . ان ذلك لا يغير شيئا مما حدث ، لان نهاية حياة ما هي بداية لا شيء ، ولا يعود لنا أي شيء عندما نفقد البداية والنهاية . لكن ماذا تعني القصة اذا تم هذا التخلص السريع ؟ ان المسافة الطويلة ( انهيار في الطريق ، وتعب مؤسس ... ) هي كل القصة قبل ان يعثر الزوج الطيب أيضا على طريق مناسبة توصله الى المقبرة . ليس الحدث في موت الزوجة ودفنها ، لكن في خيال قلقه عن انحلال زوجته في غيابها : « امراته هناك في البيت ملقاة ككيس من التبن المتبل . لعل الجسد الان قد أصبحت له رائحة كريهة مزكمة ، ولعل بعض الديدان قد بدأت تتكون في اصابع الرجلين وهي تبحث لها عن ثقب ومناقد لعالم الضوء » « ربما تغطي جسدها ببساط من البود » . لو ان ذنابا تسربت من الباب شبه المفتوح بعد غيبته ونهب الجسد الميت . وتخليل زوجته التي طالما عانقها وضمها اليه بالحاح قد تمزقت ارباريا .

ان المسلمين لا يعرقون موتاهم بعد ، والزواج سيدان اذا لم يدفن زوجته باحترام .. لكن ، من حسن الحظ ان جثة الانسان لا تشبه صخرة سيزيب . ولا عقاب بروميشيوس المربع .

لا أظن الغراب (٢) اذكي من قابيل حين أجهز على خصمه . ومع ذلك يعلم الغراب قابيل كيف يدفن اخاه هابيل الذي بدأ ينتن فوق كتفيه .

(١) لكازافيه مونتابين .

(٢) من الوجهة التطورية .

مرة ، حين تكفي مرة ، قد يجينا عنه ساديو الجث !

كان من الممكن لسعيد مهران ان يتدبر أمره ويصرح بعض اعدائه في اول لقائه معهم ، لأن حقيقة المؤامرة التي ادخلته الى السجن ظل كابوسها يعذبه مدة كافية ليعرف من اجل ماذا دخل ، وماذا عليه ان يفعل عندما يخرج ! قد يكون هذا حكما متعسفا ، لكن سعيد هو الذي اختار لنفسه هذا الحكم بالذات . ان تصميم القضاء على الخونة يتطلب روح استشهاد كبيرة .

اننا نقرأ الرواية من « مرة اخرى يتنفس نسمة الحرية » الى « واخيرا لم يجد بدا من الاستسلام فاستسلم بلا مبالاة... بلا مبالاة... » فلا نعرف بالضبط من اجل ماذا بدأ حنقه ؟ ولا من اجل ماذا استسلم في المقبرة ؟ هل اراد ان يتخلص من كل شيء ثم يعود الى السجن ؟ ان أحداث الرواية تبين لنا انه كان يتشبث بالحياة اكثر من الموت . لكنه لم يثر لا على الحياة ولا على الموت ( اذا اعتبرنا الحياة في السجن اكثر موتا من الحياة خارجه ) بما فيه الكفاية . من المحتمل انه سيشعر بنفس الندم الذي شعر به مرسل في زنزانته . لكن الفرق كبير بينه وبين جولييان (1) الذي فضل ان يموت فداء للحب - رغم امكانيات الفرار العديدة ، وكذا كنتن كمبسن (2) الذي ينتحر ، من اجل واجب اخلاقي ، لانه يجد مبرر عشقه للموت في ضياع شرف اسرته عندما ضاجعت اخته كاندس رجلا غابرا جعلها تحمل منه . ان لجوء سعيد مهران الى المقبرة لا يدل قط على انه يريد ان يواجه مصيره بكل شجاعة . ان اي شيء لم يكن حقيقيا في ذهنه كوجود القبور حوله . وجوده هناك لم يكن صدفة كما حدث في « الجدار » لسارتر . من اجل هذا سيتحمل مسؤولية اللامسؤولية . انه يريد ان ينتقم من اعدائه بالموت ، ثم ينقذ ابنته ( سناء ) في آن واحد . وهذا مستحيل . « اما ، او » كما يقول كيركجورد : اما المسألة من اجل سناء ، او الانتقام من اجل اثبات ذاته ، والقضاء على الذين خانوا طبقتهم .

ان هدف الرواية لم يكن بوليسيا ، او خياليا ( فانتازيا ) . فربح كل شيء : الانتقام من الاعداء وانقاذ سناء لا يتحقق الا في عالم المطاردة المستحيلة . لم تكن لديه امكانيات الفرار الا في حيز ضيق : فهو لم يكن ينتمي الى اية عصابة . والساعدات التي كان يتلقاها من بعض الزملاء القدماء كانت مجرد مؤازرة ، او اعجابا ببطولة موعودة . لقد خرج من السجن « متحديا » ومن يتحدى لا ينتظر عطا : « ان يصفي حسابه مع ( الخونة ) ، وفي المقدمة نبوية وعليش » . ثم يقول : « ولن اقع في الفخ ، ولكنني سأنقض في الوقت المناسب كالقدر » . لكن السنوات الاربع التي قضاها في السجن لم تكن كافية لتشنجه بالتصميم . ان التخلص من كل شيء يحتاج الى كثير من العنف . انه ليس الا بطلا مسكينا ، يرثى له . . .

جاء للفهم مع عيش الذي كان يتمسح في ساقه كالكلب . وهذا المتمسح ينام له اليوم مع ام ابنته سناء ذات السنوات الست .

« ثم ظهرت بعد انتظار طال الف سنة » . ان هذه الجملة لا يليق لثوري ان ينطق بها . انها جد رومانسية . لا تليق بمن خرج من السجن ليعلم عن نفسه كبطل جاء ليخلص نفسه ، والذين خدعوا مثله . انها جملة جد ساذجة في فن قصة عصرنا . لم تعد هناك تشبيهات يوم بمائة عام ، ولا اربع سنوات بالف سنة . ان عالمنا اليوم ابامه كنبضات قلب سليم .

« وكيف له ( أي سعيد مهران ) رغم ذلك كله بمقاومة هذه الرغبة الجامحة في ضمها الى صدره حتى الفناء ؟ » اننا نشفق على هذا البطل الذي اختاره لنا نجيب محفوظ كنموذج ليصفي حسابه مع الخونة . انه مهزوم رغم المحاولات التي يبذلها ليكون بطلا . خال من

اية شخصية ، لان مفهوم البطولة اكبر من ارتبائه الذي قاده الى ذلك المصير اليأس منه .

قالت سناء : « لا » . ان لاءها هذه مشحونة بما في رأسها مسبقا عن هذا الانسان المجهول . مع ذلك فان سذاجة مهران تستمر . وهنت : « ماما » . أليست هذه ال « ماما » أيضا هي تأكيد لما في رأسها؟ ان الاطفال عندما ينطقون بهذه الكلمة فانما يحملونها موفقههم الحدسي ، الحرج . وموقف سناء هو : أنقذيني يا ماما من هذا القريب الذي حدثتني عنه بسوء .

مرة أخرى تصيح سناء :

- لا .

- أنا بابا .

تراجع . لكن مهران يلح :

- أنا بابا ، أنا ، تعالي . . . .

تزداد سناء رعبا فيزداد مهران ياسا :

- أنا بابا ، لا تخافي ، أنا بابا . . .

انها كلمات بانسة . . . لا تناسب قط بطلا خرج من السجن لينتقم من الذين خانوه ، وخانوا القيم الاكثر انسانية . ماذا يعدي أبا لا تعرف اليه ابنته رغم اصراره ، وتشبته بطفه الابوي ؟ ان كل شيء جاهز عنه من طرف الجميع : الام لابنتها سناء ، عيش لحماته - وعلى رأسهم المخبر . لم يكن تشجيع الاخرين لسناء لتتصرف على أبيها اول مرة الا لعبة أخرى للتخلص منه . الموقف يتضح عندما نجح الدور الذي لفتوه للطفلة . ومن ثم صارت لهجتهم معه اكثر صراحة ، واكثر قسوة ، لظرده . . .

« ياله من مسكن بسيط كالمساكن في عهد آدم » . هل يعرف نجيب محفوظ كيف كانت المساكن في عهد آدم حتى يأتي لنا بهذا التشبيه؟ ان هذا التصور الميثولوجي يفق عن كل المراحل التي تلي انسان - زنجاترو وبو hombre - zinjantropo حتى انسان كرو سماجنون Hombro decvo - Magnon « السلام عليكم ياسيدي ومولاي » .

عندما يكتب نجيب محفوظ مثل هذه الجملة يبعث في القارئ الكسل . « ياسيدي ومولاي » ما الفرق اذن بين سيدي ومولاي ؟ « حذجه بعين رات الدنيا ثمانين عاما ورات الآخرة » . انني أعجب ! حتى الآخرة استطاع ان يراها هذا الشيخ الحكيم . لكن ما معنى ان يكون الانسان قد رأى الدنيا ؟ هل يكفي ان يولد ويموت ؟ اننا لا نعرف عن هذا الشيخ اكثر من انه كان يتزعم بعض الحلقات الدينية في نطاق محدود . ونجيب محفوظ نفسه قال في حديث له ما معناه بانه لا يكلف نفسه كثيرا في جمع مواد أعماله الادبية . ان حياته محصورة بين المسجد والمنزل . وأحيانا تكفي جملة ما يسمها من خلال حديث ليكتب قصة طويلة ، وانه ليس مثل همنجواي الذي ينتقل من بلد الى آخر ليجمع مواد أعماله ، وانه أيضا ليس فيلسوفا مثل سارتر ، او كاموا لشرح افكاره الفلسفية في أعماله ، وانه يفعل في كتاباته ويقف حيث يقف به انفعاله . وهذا العجز ، او الكسل الفكري ، هو الذي يجعل معظم ابطاله بالفنون في تقدير الاشياء التي ربما سمعوا عنها ولم يعيشوها .

« فلم يملك سعيد من ان يهوي على يده فيقبلها وهو يدفع دعة باطنية استغفرها من جو الذكريات والاب والامل والسماء في الماضي البعيد » . هذه هي مشاعر البطل الذي سيصفي حسابه مع الخونة . انه يقبل يد شيخ يجسم الجهود ، وينتخب بمشاعر انسان يتحسر على طفولته التي كانت توفر له كل شيء . ان انفصال سعيد مهران لم ينضج بعد ، ولن ينضج ابدا ، ان حياته كثرمة يكشف فسادها الخارجي عن الدود في قلبها . « مولاي ، قصدتك فسي ساعة انكرتني فيها ابنتي » . ان سناء لم تتعرف اليه . اذا كانت قد سمعت عن أبيها هذا فقد كونت عنه فكرة رجل سيء السيرة من طرف امها وعليش زوج ماها . لقد كان الشيخ على حق حين قال : « ما

١ - بطل « الاحمر والاسود » لستندال .

٢ - أحد ابطال « المصخب والعنف » لوليم فوكنر .

أشبهها بك . . . ! لان سعيد مهران لم يكن الا طفلا في تصرفاته مع اعدائه « . خانتني مع حقيير من اتباعي . نلميذ كان يقف بين يدي كالكلب ، فطلبت الطلاق محتجة بسجني ، ثم تزوجت منه . لقد كان وزير الشباب « فون شيراخ » (1) يعاني محتته الكبرى في سجن شبانو للخلفاء عندما جازته رسالة من زوجته الجميلة تعلن اليه بانها ستتزوج برجل تاجر سيضمن لها مستقبلها . لكن ما أعظم الفرق بين مشاعر فون شيراخ الناضجة وسعيد مهران الذي ظل ابن الماضي في كل علاقاته !

ان امثاله ، عندما تخونهم انانيتهم ، لا يستطيعون ان يبدأوا حياتهم من جديد مع امرأة أخرى ، وأشخاص آخرين ، وعالم اخر ، غير عالم ما قبل أربع سنوات قضاهما في السجن .

« ثم تابعت المصائب حتى انكرتني ابنتي » . مرة أخرى تعاد علينا رثابة هذا البطل . ان هناك فرقا بين « انكرتني » ، وبين لم تعرف الي ابنتي : سناء لم تنكره كاب تعرفه من قبل ، انما هي لا تريد رجلا لا تعرفه ان يكون ، هكذا فجأة ، اباهما بكثير من الالاح الخيف .

وينتهي الفصل الثاني بنفس السام الذي بدأ به : شيخ علي الجنيدي سماوي ، وبطل لا يجد ماوى آخر ياوي اليه ، لانه لم يعرف كيف يعيد لحياته معنى انسانيا اكثر مما كانت عليه . في البداية لم ينتكر له رؤوف علوان المحرر في جريدة «الزهرة» . «انت مجنون ان ظننت انه يرحب بك من قلبه » . هكذا بدأ سعيد يسيء الفن بمضيفه - صديقه القديم . ثم ينهم صديقه هذا صراحة حين يقول له : « وهذا البهو الرائع كاليدان . . . » قال رؤوف : - وهل انتظرت هنا طويلا ؟

- عمر كامل .  
مرة اخرى يذكرنا هذا التعبير بمائة سنة ، و ألف عام من الانتظار عوض ساعة أو ساعتين . لكن هذا الزمن الرومانسي متوقع من بطل فقد توازنه مع الواقع . لقد صار يستمجد كل شيء . انه لم يعد واثقا من اي شيء . ان الاستمجدال الزمني وتضخيم ساعة بمائة عام ، أو الف ، غالبا ما تصير عقدة المسجونين الزمنة حتى بعد ان يتحرروا بصفة نهائية .

كان مهران أحد نلاميذ رؤوف علوان في انتقاد اصحاب القصور قبل ان يدخل السجن ، لكنه يخرج من السجن فيجد استاذه القديم هذا يسكن في « قصر الانوار والمرايا » . قال رؤوف :  
- أنت تتوهم أنني صرت واحدا من الاغنياء الذين كنت أحمل عليهم . وعلى هذا الاساس أردت أن تعاملني .  
ويبدو ان القضاء على الذين يخونون ماضيهم يتطلب تخطيطا اكثر من الذي أعده سعيد مهران .

« بدأ القصر مسدل الجفون . . . » ان هذا التعبير عن النوم لم يعد يتلاءم مع اسلوب العصر . ( نامت الخيانة - رؤوف علوان - في هدوء بديع لا تستحقه البتة ) . وحين يفشل في سرقة استاذاه أو اغتياله ، لانه كان أكثر حذرا وذكاء منه ، يخرج ورأسه مثقل ببعض كلماته : « ان رأيتك مرة أخرى فسأسحقك كحشرة » .

كان هدف هملت هو الانتقام لايه السيء الحظ . وسيكون ضد ارادة نظرية فرويد . ان هملت يحب أباه أكثر من أمه . انه مثل أورست الذي سينتقم لايه أجاممنون . لكن فعل أورست أكثر تصميما من فعل هملت . وحتى حين تضعف أخته الكترا يبقى هو صامدا . لقد كان أقوى حتى من ندم شطب أرجوس نفسه . واجب هملت اذن ان يكون أكثر نزاهة من احساسه العاطفي المرهف . لكن الامر يختلط لديه بمونولوج هولوسي ، غنيق . كل شيء يتم في داخله . مجنون ظاهريا وعامل باطنيا - مع التباس طفيف حتى لدى أكبر المحللين لشخصيته . لكن من يصطنع الجنون قد يشك في سوائه أحيانا : هل

أنا موجود حقيقة ام لا ؟ وهو من أجل الانتقام لايه لا يقضي على أعداء أبيه وأعدائه فقط ، لكنه يقضي حتى على نفسه بترده . لقد اتاح المجال لهم ليعرفوا حقيقته ليفتالوه . كل شيء يتم من أجل الشبح الذي يحمل روح أبيه . وهو يظهر ويختفي مخلقا وراءه أصواتا تنبع عليه كالكلاب التي لا تعض . يبدو ان شكسبير كان يعرف جيدا أهواء عصره . لقد كان على اتصال مباشر بجمهوره كمثل ومؤلف . كان عصر الهيام بالمسرح في المسرح ، واقفعال الجنون ، وخلق الاشباح . اننا حين نقرأ « معطف » جوجول واعمال ادجار بو « مرتفعات ودرينغ » لايملي بروفتي ، نجد ان هذه الحمى لم تكن قد فترت بعد . وحتى اليوم نجد الكثير من القراء ما يزالون يطالبون بعض الكتاب المعاصرين بخلق اشباح جديدة معاصرة لنا ، او مستلهمة من الماضي . وأحيانا يكفي الحديث عن قصر مهجور ، او تسكنه أسرة معظم أفرادها مسنون ، ليتخيل البسطاء اللذة المرعبة .

ان هدف المسرحية هو أن يتخطى هملت كل من يفترضه وينتقم لايه بدون حذلقه ، ولا فلسفة نرجسية عن الموت ، وخواطر عن الحب تسبب العنة . لكننا نلوم سعيد مهران أكثر من لومنا هملت . مهران ثوري نظريا وعمليا . خرج من السجن ليقتضي على بقايا الافكار الباشوية الجديدة ، بادنا من الذين خانوه مباشرة . أما هملت فهو ارستوقراطي ، مكبوت جنسيا ، مثالي . . . مهران ينام مع صديقه نور في فراش واحد ، وقد يحميها من الذين سيفضحون لها في وجهها ولا يدفعون جيدا ، اذا كانوا من الذين يبدو عليهم انهم مستعدون للفرار تاركين بعض ملابسهم .

لقد كان تولستوي على حق حين وصف شكسبير بالافتعال فسي اعماله . ان أبطاله يقضون وقتنا اسطوريا مملا في مناجيات الارواح قبل أن يجنوا خلاصهم في الموت . انهما يتحولان معا الى صنمين يتناجان . ينسيان لذة اللحم والدم . هاهنا كل شيء قابل للحياة . لكن الحياة تموت فيهما . يصيران مجرد فكريتين تجريديتين . الزهور ، الحب اللانهائي الذي جنن أوفيليا ، والتأجيل اللامعدي . انه خلاص العجز عن الاستمرار . « الحب في الموت Love in death كما في روميو وجوليت . وتموت أوفيليا دون ان يستطيع هملت حتى ان يقبلها . ينتهي التردد فتمتلئ القاعة بجثث المجرمين القدماء والضحايا الجدد .

لكن لولا هذا العجز الطويل فلن تكون هناك لا مسرحية هملت ولا رواية « اللص والكلاب » ولا « الايدي القذرة » لسارتر . ان هوجو تعذب نفسه مشكلة التردد في تنفيذ اوامر الحزب . واخيرا يتم له ذلك التنفيذ بدافع الغيرة وليس بدافع الواجب السياسي . وهنا تحققت له الفاية في اللغااية كما عند كنت . لكن هملت يموت ثوريا شهيدا ، وسعيد مهران يعاد الى السجن ليساط من جديد ككلب . ويبقى الخونة يعيشون على حساب جينه ، وماله ، وغياته . وسيظلون يقذفون بامثاله خارج دائرة حياتهم الجديدة كما يمثلها رؤوف علوان في قمتها .

ان الكاتب والفارء ، او مطلق أي انسان ، حر في اختيار مصيره حتى ولو كان في هذا الاختيار استعراض ما . ان يطلق على نفسه النار كما فعل همنغواي وفان خوخ ، وماجدة الشاهدية ( ٢ ) ان تكون هناك صدفة ، مثل موت بيرون المحموم ، او نزهة بحرية فائمة كغرق شيللي او تحد للرجعية . كمحاكمة سقراط ومقصلة جوليان (٣) ومرسول ان موقف هؤلاء الثلاثة الاخيرين ، على الاقل ، كان ضد البطولة ، ما دامت العدالة التي حاكمتهم هي ما ورائية أكثر منها

٢ - شاعرة لبنانية ، كتبت شعرها بالفرنسية . صدرت سيرتها الذاتية في مجلة « الف ليلة وليلة » . ماتت شهيدة جها الكبير لشاهد الذي قيل انه كان يستحضر الارواح . آمنت به ماجدة كئبي جديد بجنون .

٣ - بطل الاحمر والاسود .

(1) وزير الشباب في المانية الهنرية .

واقعية . ما علاقة مشاعر الابن نحو موت امه في ماوى ( مارافنو ) وجريمة شمسية اصطدمت بالعودة الى النبع ، وضربة الشمس التي ذكرته بيقظ ذلك اليوم القابض ، ونخوة العربي الذي كان يعمي مرسل بسكينة في وهج الشمس ؟ اليس هذا حافظا لمرسل لكي يتحسس مافي جيبه بعماد موع الملح الكثيف ويحدث تلك الضجة في ذلك الساحل الصامت الجهني ؟ مع ذلك ، كانت لكل واحد منهم الفرصة الاخيرة . لكن جوليان يرفض كل فرصة تتاح له ويعطى بعناد امام السادة المحلفين : « انني لا اطلب منكم آية رحمة .. » « جريمتي بشمة . وقت بها عن سابق تصور وتصميم ، واستحق الموت » .

كان هناك حظ آخر لمرسل مع قاضي التحقيق لو انه اعترف بتقديس المسيح . اما سقراط فقد كان اكثر منهما حظا حين اتاح له تلاميذه فرصة الفرار بالحاح . لكنه رفض بقليل من العناد ، غير آسف على شيء . ولهذا كان اكثرهما بطولة .

أحيانا تكون هناك أزمة غموض : جان جاك روسو عشروا على جثته متورمة فوق الاعشاب التي كان يبلل قدميه بندها ، استنفا زفايح الذي صار كاتباً عالمياً اناسيا ، جاك لندن جمع ثروة كبيرة بعد ان كان ينسج في قاطرة بمدينة ما ويقف على اصطدام تبادل القاطرات في مدينة أخرى . وفي الوقت الذي يكون هناك غموض ، أو اصرار مجنون أو ملل ، تكون هناك سقطة واضحة ، متوقفة من حين لآخر : ادجارسو ، زكي مبارك ، ووليم فوكنر . (1) .

اننا حين نقول : هذا لا معقول ، أو مات ميتة لا معقولة ، فهذا يعني انه ليس هناك جبرية ، تسقطها علينا أضرار سحرية يضغط عليها ، ولا تصاب ابدا بالعطب . أما هناك صدفة ، سوء حظ غير مكتوب في كتاب مستروح الاموات . وبالمعنى البيولوجي هناك الذبحة الصدرية ، العطسة ، الدوخة ، الصراع ، الربو ، الثرثرة ، لشعاع المعمي ، والقيلة المجنونة . الخ . انه في الوقت الذي يحدث هذا الخلل في الجسم يكون كل شيء قد انحرف . وآليا ، أو طقسياً ، يحدث نفس الدمار : كامو ، مرجيت متشل ، لورانس العرب . . . (٢) .

أذن هناك اختيار ، وهناك عبث أعمى . لكن أسوأ من هذا وذاك هو ما يحدث في الفياض دون اختيار ، أو حتى سوء الحظ السيزيفي المثقل بالهجوم التي تنتهي حيث تبدأ ، ولا يتعب المذبذب الذي يعمق حقد الإنسان عليه : نابوليون ، مكسيم جوركي ، جارشيا لوركا ، وبول نيزان . لقد كانت لهم مواقف مختلفة . لكنهم ماتوا دون اية جلسة علانية . وحين نسأل التاريخ المأجور يقال لنا بأسلوب مسرحي بأن نابليون مات بسرطان الامعاء ، وكان له طبيب خاص ، وعومل باحترام . وان مكسيم جوركي مات بالسل ، رغم الادوية الجيدة ، والرعاية الطبية ، والهواء الطلق . أما جرتيا لوركا وبول نيزان فقد صرعتهما طلقات اشخاص ذوي اقنعة سوداء ، لا تعرف هويتها رغم الاتهامات الموجهة للحرس المدني . ويأتي تاريخ الإشعاع الذري فيقول لنا : شعر نابوليون المحفوظ جيدا ، يكشف موته بالزرنبيخ ، وليس بسرطان الامعاء . وينطق الذين ظلوا احياء ، بعد ان قل الخوف ، ولم يعودوا يهتمون بمصيرهم ، ما داموا قد ناهزوا عمر اللاجتوى من ايقافهم عن عرف بان مكسيم جوركي سممه أعداء العمال ، ولم يمت بالسل وحده .

لقد كان هناك حقا كبرياء حدسي منهزم تجاه نار المنتصرين : انطونيو وكليوباترا ، هتلر وايفابراون ، وجين ساذج كومسولينسي وعشيقته بيتاشيا اللذين علقوهما ككبشين وبالوا عليهما في البشوارع .

\*\*\*

لقد انتقد الاستاذ سامي خشبة قصتي « العنف على الشاطئ »

١ - كان هؤلاء الثلاثة مدمنين على الكحول بافراط .

٢ - مات هؤلاء بحوادث الاصطدام .

مستروح الاموات : البرزخ الذي تستقر فيه الارواح .

بلهجة تهكمية ، لكن بقليل من الدقة : « ولكن محمد شكري يعرف عن بطله المجنون أكثر مما يعرف البير كامو عن بطله المنفي الغريب » و « لكن محمد شكري يعرف أيضا عن بطله المجنون أكثر مما عرف سارتر عن بطله الشاذ الهارب من العادية . » واعتقد ان المقارنة التي وضعها سامي خشبة لبطلتي مع بطل كامو « الغريب » و « ايروسترات » لسارتر هي مجازفة في النقد . ان قصتي لا تتوفر على قيم النضج الكافي . لكن هذا التبرير لا يعني أيضا الكثير ما دام الكاتب مسؤولا عن انتاجه في جميع مراحل تطوره . « ومثلما بحث الغريب عن ماواه في الموت ، كذلك راح ميمون يبحث عن ماواه في عمل انتحاري . بعد هجومه الاخير على الجحيم - بالقاء نفسه في البحر . « انه لا مرسل ولا ميمون بحث عن الموت باختياره . ان مرسل حين رفض الدفاع عن نفسه كان يعني انه قد انخرط في موقف اللابطلية ، وفرار ميمون كان شعورا بلذة عدم الاستسلام . مرسل واع بشكل ما تجاه كل شيء . أما ميمون فيفكر باضطراب في عناصر الاشياء : الشمس والبحر يعطيانه الملح ، والملح سيباع بثمن باهظ ليلحق بجوبي . لكن عندما يخيب أمله تماما ، حتى في الاصداف التي يتعثر فيها ، ولا تستحيل في يده الى جواهر ، فماذا له حين يرى ان كل شيء يغري بالدخول الى الجحيم !!

ان الاطلاق عند مرسل جاء صدفة . لقد اعتبر القضية منتهية مع العربي الضيد خصم رامون . لكن الذي جعله يطلق النار فهو بقاء العربي هناك عن ترصد قبائلي مقصود ، وتحذ فروسى ، بسكينه التي شهرها في وجه مرسل كانعكاس مرآة في وهج شمس لاهية . كذلك لم يكن ميمون ينتظر أن يجد هناك جوبي جديدة ممدودة بشكل يخرج الواحد من الجنة ويدخله الجحيم . ان ميمون ليس هو يوسف زليخة (١) ان عربي مرسل ، وفتاة ميمون التي سقط اللثام عن فمها الاسفل المشورب بشقرة خفيفة كلاهما مسؤول عن اطلاق مرسل ، وارتماء ميمون . انهما فعلا سقطا عليهما صدفة بتون سابق قصد . أما ايروسترات وميمون ففعلهما الجنسي يختلف : فعل ايروسترات شذوذ مفتعل ، مقصود ، كمن يترصد صيدا . ايروسترات سارتر عنين . سادته الوهمية ناتجة عن ترف ذهني ، وملل اجتماعي ، واسلوب صيباني في التفريخ عن العجز للمسي الذي يعانیه . ان اشتمزازه الجنسي يختلط لديه بخوفه من لمس الاشياء الجرثومية كعدوى المحترفات مثلا . أما ميمون فلم يكن مصابا باللاتمييز الكلي ، او بفعل قهري تجاه الاشياء . ان شغفه بتزويق ثياب جوبي انما هو شعور بانتعاش آخر . رجولته كاملة ولا يحتاج الى نفس اشارة عاهرة ايروسترات لينتعش ثعبانه . ايروسترات مصاب بالارتخاء والنفذ السريع . وقد يقذف دون ان يتم له أقل انتعاش . وعندما يسأم تماما من عاديته يعد خطة الاستعراض : كتابة الخطابات وارسالها الى الذين يعينهم الامر ، في نظره ، ثم الاتجاه الى الناس العاديين ليرعبهم بطلقاته الهوائية . وفي المرحاض يكتشف انه اقل من جميع الناس الذين يحتقرهم . انه والرائحة المنبعثة حوله سواء .

ميمون لم يستعرض نفسه الا مع نفسه . ولم يكن يجعل الناس يدوس بعضهم بعضا كما جعلهم ايروسترات قد نلح اثاره من غريب البير كامو ، ومن ايروستراتوس سارتر في ميمون محمد شكري ، ولكنها اثاره سطحية قليلة الغور ، تدفع بتجربة الكاتب الى ضرورة ان يبحث لها عن عمق فكري أكثر تمثلا واصالة .

لقد قدمت ميمون في حدود بيئته ، تجربته وتجربتي معه . مع ذلك ، في استطاعتنا انقاذ ميمون أكثر من انقاذنا مرسل ، وايروسترات . « كذلك لم يكن من الممكن ان يكون ميمون الذي يعاني مزيجا من الجنون المبكر وبارانويا الاضطهاد ! فما وصفه المؤلف صراحة

١ - اشارة الى قصة يوسف التي أفرته امرأة العزيز قأبي ، ثم كان مصيره الذي ورد في القرآن .

ميمون الباب مفتوحاً فدخله بعنف كما غسلته فابلته لأول مرة ، وضربته على ظهره لتجعله يصرخ بعنف لبثت وجوده . ان حمم الجحيم تجعل الانسان منفصلاً ، دمويًا . . . ثم يمسح ليخيف المهديين بدخول جحيم دانتي .

ان وضع ميمون لم يترك له حتى الوقت ليتردد من جديد . اعتقد ان الاستاذ سامي خشية عندما كان يكتب : « ان ميمون لا يشبهنا ، وليست به اشارة واحدة من التشابه معنا » كسان يتخيل فرانكشتاين لماري شيللي .

ان ماتيو (١) لم يكن ينتظر ضباطه الخائنين ان ينقذوه عندما وقف وراح يطلق ضد كل شيء في مقاومة مجنونة . من كان يستطيع ان ينقذ فرانز (٢) واباه وهما في طريقهما الى نهايتهما الاختيارية : كوابيس فرانز الحربية ، ازماته القلبية ، ذكريات حبه المحرم مع اخته ليني ، سرطان خلق ابيه الذي بدأت كحته تنبئه بالختاق ، وندمه على كل شيء في حياته . ان هذا العذاب يذكرنا ببروميثيوس . « وخطير هو الانسان الذي ليس لديه ما يخسر » كما قال جوته : ان ليني كانت تعلم بقرار اخيها وابيها النهائي، لكنها هي ايضا كانت قد انتقلت اليها عدوى جمال جنون اخيها وسط محكمة العقارب . لقد ترك لها في غرفته كل شيء لتتعلم جيداً كيف تحاكم أخطاء الاجيال ، حتى نفسه الضائعة في الماضي . ربما في الامكان انقاذ ليني وفرنز الذي ربما سيفتقي ياس ابيه عندما يكتشف ان ما ورثه مههد بالمطاردة النازية . لكن لا يمكن لنا ان ننقذ فرانز والسيد جيرلاش ، الا اذا كانت لدينا آلة الكترونية نضفط عليها فتظير سيارتهما الاوتوماتيكية دون ان تفتح الابواب . هكذا يمكن ان نمنعها من الياس الابني فقط . لكن سيبدأ كل شيء من جديد كما هي شهوة ايناس لاستيل ، وضيق استيل وجارسان من وجود ايناس ، وسيزيف يعيد صخرته مكوداً بتمب لا ينتهي .

ان سارتر لم ينقذ ماتيو لانه لم يعد يجد ما يقوله من خلاله لقد تحدث عن ديكارت وشعر بندمه عندما ترك مارسيل بين احضان دانيال اللوطي ، وحاول ان يقنع ايفيش بان جوجان رسام عظيم ، ولانها اذا لم تعجبها لوحة بريشته فلانه رسمها وهو مريض . انه متساهل في كل شيء حتى عندما طلبوه للتجنيد الاجباري تاركا لها مفتاح غرفته لتفحب في غيابه .

ماذا يبقى اذن للانسان بعد ان يطلق الرصاص على كل شيء ؟ انه اذ يطلق على كل شيء سيطلق أيضا على نفسه . ان ما اختاره لنفسه اختاره لغيري من خلالي . لقد تخلص سارتر من ماتيو كما تخلص سارتر نفسه من الزيف الذي بدأت تكشف عنه متناقضاته تجاه بعض قضايا العالم . ومثلما تخلص ماتيو من الزيف في برجه النصالي حاول جورج سالم في قصته القصيرة « في الطريق السى الصحراء » ان يخلص بطله « س » من زيف اخر . لكن زيف « س » زيف فردي شبيهي . الحقائق الثلاث بما فيها من طعام وثياب وعلم وشهادات ومذكرات ، واضمامة صور . وحين يجد نفسه في جحيم التيه يدخل في الهذيان يفقد معنى الزمن ، والوجود يبدأ كائنه الشخصي يتشياً ليصير مجرد شيء صيروي خام :

- عليك الان ان تصير حبة رمل .  
- حبة رمل ؟ كيف ذلك ؟

- اضطلع على الارض ، وتمدد بين اخوانك حبات الرمل الكثيرة .  
كان الصوت غريباً . وعبنا حاول « س » المسكين ان يحتج .  
لقد كان حقاً كبيراً .

وحبة الرمل التي سيصيرها هي صغيرة . « فاضاف في شبه ياس »

هو بطل ايروستراتوس سارتر . « انني أيضاً اتساءل كيف أمكن للسيد خشية ان يعرف بان بطل ايروسترات مصاب بما وصفت به ميمون صراحة ؟ هو يقول : « انه مجنون بارادته » . لكن في علم النفس انه ليس هناك من يتعمد الجنون بارادته . ان بيرون كان يشرب الخمر في جماجم بشرية ، ودانتي لا يكتب أجمل اشعار مهزلته الالهية الا حين يكون مستندا الى شاهد قبر ، وجان جاك روسو تآبه أحسن افكاره وهو يتمشى بين الحقول . ان هذه دوافع سلوك استهتارية وقهرية ، لكن ليست حالات جنون ارادي . هناك شنود قهري ، لكن من الصعب ان نقول : ان دون كيخوتي وهملت وايروستراتوس ، كانوا مجانين بارادتهم . ان من يحارب بجسم هزيل الطواحين ، وقطعان الماشية لينفس عن مثاليته ليس كمن لا ياكل طعامه الا اذا جعل خادمه يقسم له انه حقيقة قد غسل الصحون جيداً بالصابون والماء الساخن ؟ ان هناك فرقا بين من يعاني الخسوف من الجرائم وبين من يريد ان يثبت ارادة انتصار الخير على الشر ولو في الوهم . لذا يصح ان يكون ميمون مجنوناً لا ارادياً ، وليس من أجل ان يغير واقعه كايروسترات . ان من يريد ان يغير واقعه « لان حريته تراكمت عليه » لا يكون قط مصاباً بالانفصام الشخصي . ميمون كان يعرف نفسه ، ويعرف الناس الذين عاش بينهم . لذا ، لم يكن ينتظر منهم لا خيراً ولا عطلاً لانقاذه . ان وضعه كانت فيه مفاخرة بدأها واختار ان ينهبها على طريقته الهروبية . اراد ان يتخلص من الزيف . والانسان حين يجوع يصير متاع الناس لديه مشاعاً ، اذا لم يسعفوه في الوقت المناسب . ان الرغيف الذي خطفه جان فالجان هو صدقة مقتصبة في فعل سرقة . ان موت فانتين (١) ومارتاليانية (٢) ادانة للبرجوازية المصابة بعقدة اغتصاب ، او مضاجعة البروليتارية ، ثم احتقارها . لهذا يكون رد فعل هذه الطبقة المستغلة ( بفتح القين ) في جميع المستويات ، عدلاً . لقد اثبتت ابحاث الجرائم الجنسية ان أغلب الضحايا من الطبقة البرجوازية .

ان هجوم ميمون على حواء التي أخرجته من النعيم ، وستدخله الجحيم ، هجوم مشروع . لقد كان كل شيء مفرياً : ورقة التوت التي ذهبت بها نسמת الصيف الزرقاء ، استلقاؤها في وضع ذكره يجوني التي لم يستطع ان ينساها ، ولا ان يلحق بها . لم يكن بإمكانه منذ هجرته حتى ان يستأنف حياته مع اية امرأة أخرى . ان الواحد لا يدخل الجحيم الا مرة واحدة ، عندما يسوء حظه . وقد وجد

١ - بطله شقية جداً في قصة « البؤساء » ليفكتور هوجو . ماتت وهي تنحصر على رؤية ابنتها كوزيت التي باعت من اجلها كل ما تملك ، حتى نفسها .

٢ - بطله قصة جبران خليل جبران في كتابه : « عرائس المروج » ، كانت تتمنى لو كانت الحياة حلماً ابدياً لتهرب من واقعها المأساوي .

## المكتبة الوطنية وفروعها

### البحرين - الخليج العربي

وكلاء توزيع كتب ومجلات وادوات مدرسية  
اطلبوا منها

مجلة « الآداب » ومنشورات « دار الآداب »

١ - البطل الرئيسي في « دروب الحرية لسارتر .

٢ - أهم أبطال « سجناء الطونا » .

– أهذه هي النهاية إذن ؟

« ولما لم يجبه أحد ، امثل للامر واضطجع على الارض . وخطر له سؤال اخير :

– كم يستغرق ذلك ؟

« همس صوت في اذنه يقول في منتهى الرقة والهوء » :

– لن يستغرق ذلك الا بضعة ايام من ايام الرب .

« وأغفى س » .

وبذلك تحول الى شيء عنصري صغير أقل من فئات تجره نملة .

لكنه تخلص من الزيف الكبير .

ان الانقاذ ، أحيانا ، يبدو كالبالون بلاستيكي منفوخ في يد طفل

شرس . ان أخلد الاطال لا يتقدون . خلودهم يتنفي بانقاذهم . لكن

السؤال هو بدافع ماذا أراد « س » في « الطريق الى الصحراء » ان

يتخلص من كل شيء ؟ لقد قدمه لنا جورج سالم مقطوع الجذور،

جاهزا : ( فرأى أن هذا الصباح لا يختلف في شيء عن سائر الاصباح ) .

ان هذه الجملة توحي لنا بالسأم من الوجود . ( التفت التفاتة اخيرة

فلم توح له البلدة الغافية في احضان السهل باية عاطفة . ) ان شعور

« س » في « الطريق الى الصحراء » شبيه بشعور روكانتان ( ١ ) تجاه

مدينة بوفيل ( ٢ ) . لكننا نعرف الكثير عن بوفيل ولا نعرف شيئا

المتة عن مدينة « س » في « الطريق الى الصحراء » . ان هذه

الهجرة التخلضية لم يكن س وانقا منها تماما . والا فلماذا (سوى

فراشه ولحافه ) ؟ هل فعل هذا بسبب العادة . ؟ ان من يريد ان

يتخلص من كل شيء لا يأسف على أي شيء . لهذا ، يبدو لنا سفر

« س » كالشيء في النوم !

في البداية لم يكن عازما على التخلص من كل شيء : فالكرامة

التي كان يحملها في حقيبة العلم ( قدر أنه قد يحتاج اليها لتدوين

ما يخطر له ) . ان الذين يقضون حياتهم في رفاهية مفرطة غالبا

ما يحتقرونها عندما لا يكون هناك مجال للبدء من جديد : ( ان ثوبا

واحدا يكفيني ، وليس يحتاج الكائن الحي الى كل هذه الثياب ) . قيل

موت أحمد شوقي بك شعر بنفس هذا الشعور صحبة سائق

سيارته . لقد قال لسائقه بهذا المعنى ، وهو داخل الى منزله الكبير

مشيرا الى الارض المحيطة بالمنزل :

– لماذا هذه الارض الفائضة كلها ؟

قال السائق :

– لماذا تفكر هكذا في هذا اليوم يا بك ؟

كان شوقي يكره سماع أي حديث عن الموت الذي كان يخشاه .

لكنه في ذلك المساء بالذات تحدث هو نفسه عن الموت ، وعن الارض

المحيطة بمنزله ، وكم يمكن ان تسع من قبور ! ونفس تائب الضمير

حدث له مع المتسول الذي اعترض طريقه في سيارته : فقد تجاوزه

اول مرة ، ثم عاد اليه بنفسية الطفل الذي حطم لعبته العزيزة عليه .

بحث عنه السائق حتى وجده وونفحه بهبة جنهية لم يكن يجود بمثلا

من قبل على أمثاله .

ان تخلص « س » من الزيف كان صدفة ، ليس عن سابق تصميم :

( كانت يده التي حمل بها الحقيبة وقتنا طويلا تؤلمه فتمنى لو ترك

الحقيبة حيث أقام لكي يأخذها في عودته ) . ان الشعور بالزهد كان

يتعمق فيه حتى بلغ منتهاه : ( فلنظّل لحينه ما شاءت ان تطول . اي

ضير في هذا ؟ سيكسبه ذلك هبة ووقارا ) . انه لم يعد في حاجة

الى شيء حتى وجوده الكائن الذي بدأ يتلاشى مثل صلب ينصهر . كان

نداء الصحراء قويا . لم يعد هاما حتى ان يلتفت الى المناظر

الجميلة قبل ان يدخل الى النيه . لقد امتلا بكل شيء ، ومل من

كل شيء فليترك كل شيء لمن لا يزال جانبا الى كل شيء . لقد تعلم

الكثير ( مثل بطل رواية « موسم الهجرة الى الشمال للطيب صالح )  
لكن فكرة « ان الكل باطل » وكل ما يدركه الانسان هو قبض رباح ، جعله  
يحتقر كل شيء ، الا نداء الصحراء . اذن ما الفائدة ما دام : « انه  
لم يجن سعادة ، ولم يشعر بفرح قط . » ؟ اذ : « فربما كان ما يبحث  
عنه متوفرا في الصحراء التي يقصد ، فليرم بها ( ١ ) » لقد أخذ  
س الان يشك في وجوده ، بعد ان شرب من النبع . هل وجد ؟ وهل  
هو موجود الان ؟ ( أكان من فعل هذا النبع السحري ؟ ذلك باناه  
لم يعد يذكر اي شيء على الاطلاق ، ولم يعد قادرا على التذكر .  
فقد غامت الدنيا في عينيه ، ولم يبق في ذهنه الا شيء واحد ، هو  
الصحراء . أما من أين جاء وماذا فعل بالامس وقبل الامس ، وأيسن  
وكيف قضى أيامه ، وأين أهله وذووه ومن هم ؟ فقد غامت هذه الامور  
كلها في عينيه ، ولم يعد يرى امامه الا الصحراء التي ينتظرها ،  
وتنتظره ، منذ أمد بعيد ، موغل في البعد ) .

ان الرمز هنا عند جورج سالم مثل بالاحتمالات : العودة ، النيه ،  
الزهد . . . الخ . هنا أيضا يصود رمز كل شيء باطل وقبض رباح  
( وراح يلاحظ آثار اقدامه على الرمل فاعجبه منظرها ، ولكنه فوجيء  
بالرياح تسفح سطح الصحراء فتغطي مواطيه اقدامه . وآله فعل الرياح  
وحز في نفسه غياب اثاره ، فراح يسير متمعدا رؤية آثار قدميه .  
ثم يتوقف حزينا ليرقب اختفاها ) . ان آثار اقدامه هي كل مجهود  
الانسان ، لكن الرياح هي أيضا جحود الانسان لآخيه الانسان . وما  
دام الامر هكذا فان « الانا » عند سارتر ، و« الدونية » لدى ادلرو  
( الجنس ) عند فرويد ، واللمذة الانية الارستيبية والايبيقورية  
وكتابات د . ه . لورانس وتينيسي وليامس . . . الخ – ان كل هذا  
له ما يبرره عندما يحرق ايروسترات المعبد ، ويتلذذ ابطال المريكز  
دوساد بضحاياهم بعد ان يرتفع الجسر الوحيد الذي يصل بساب  
القصر بطريق النجاة منذ أن نما للرجل « الثعبان الاعور » وللمرأة  
( الجحر الدافئ ) .

ان عجز سارتر عن اتمام الجزء الرابع ( الفرصة الاخيرة ) ليس  
لان البناء الروائي هو الذي لا ينسجم وحده مع أحداث المقاومة – كما  
عبر هو نفسه – انما ربما لانه قد تخلص من أهم شخصية كانت  
تتلاحم حولها أحداث الرواية . لقد حاول برونيه وشنايدر ان  
يخططوا لمستقبل الحزب في المسكر ، لكن صبرهما نفذ في الاسر  
مع أخوانهما . اخيرا تخلص شنايدر من نفسه عن طريق مفامرة  
كانت نبدو فاشلة عن سابق حسد .

لقد حاولت سيمون دوبوفوار ان تشرح الغموض الذي انتهى به  
موقف ماتيو . قالت ما معناه في « قوة الاشياء » : ان ماتيو لم  
يمت ، انما هرب ، واستأنف حياته من جديد مع احدى المنظمات  
السياسية في باريز . من هنا يبدو لنا ان ماتيو لم يياس تماما ،  
وان الروح التي كان يقود بها تلاميذه الفاشلين في الدراسة ، وزملاءه  
الضائعين في حيرة مواقفهم الحزبية قد استيقظت فيه من  
جديد . لكن الاطلاق على كل شيء لا يكون الا مرة واحدة ، لان  
الانسان لا يقتل عدوه مرتين . كذلك كان موقف ماتيو وفرانز وابيه  
السييد جيرلاش ، و« س » في طريقه الصحراء ، وارتداء ميمون في  
البحر . ان هؤلاء وامثالهم ، لا يتخلصون من الزيف الا مرة واحدة .  
ومطلق انسان حر في ان يتخلص من زيفه وزيف الآخرين الذين يضايقونه  
كما يريد هو . انه حقا موقف عيشي لكنه بدون هذا التمرد لا يمكن  
لوجود انساني نقي ان يكون في العالم . على الانسان ان يكون او لا  
يكون . ان ماهيته عليه ان يبرر وجوده . ويهدغر عندما قال بهذا  
المعنى : « الانسان موجود للموت » كان يعني ان يحقق الانسان منتهى  
نقاء وجوده .

محمد شكري

طنجة ( المملكة المغربية )

١ – الحقيقة التي تحتوي على العلم وما يشبه ان س قد تعلم .

١ – بطل الغثيان .

٢ – الهافر .